رسائل جامعية

الفكر المقاصدي في تفسير المنار

د. عبد الله أكرزام
باحث في الدراسات الإسلامية

دافع الباحث عبد الله أكرزام، يوم الاثنين 13 / 4 / 2009 بكلية الآداب جامعة مولاي إسماعيل بمكناس، عن أطروحته للدكتوراه في موضوع " الفكر المقاصدي في تفسير المنار" أمام لجنة علمية مكونة من السادة الدكاترة: الأستاذ محمد اسدرا رئيسا وعضوا مناقشا، والأستاذ محمد السيسي مشرفا ومقررا، والأساتذة عبد الكريم عكيوي وعبد الحميد الوافي، وفؤاد بقجيج أعضاء مناقشين. وبعد المناقشة والمداولة قررت اللجنة قبول العمل ومنح صاحبه شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بميزة مشرف جدا. وهذا تقرير مكثف عن أهم محاورها وقضاياها:



إنّ خير ما يخدمه المرء دينه، وخير ما يشتغل به العلومُ التي تقرب إليه فهمه، وفي مقدمتها علوم الشريعة، ذلك أن رسالة الإنسان في هذا الوجود هي تحقيق العبودية لله، وعمارة الأرض وفق ما تقتضيه شروط هذه العبودية. وقد تسابق في هذا المضمار علماء الأمة قديما وحديثا، تأليفا وبحثا، وشرحا وتلخيصا، نثرا ونظما... محققين وعد النبي -صلى الله عليه وسلم-: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين".

وإذا كانت عناية السلف متركزة على فقه النصوص الشرعية، رواية ودراية، حيث أشبعوا أبواب هذا الفقه ومباحثه دراسة وتحقيقا، فإن عناية الخلف، خصوصا في العقود الأخيرة، توجهت أكثر إلى مقاصد النصوص الشرعية نظرا للتحولات الكبيرة والطفرة الواسعة التي عرفتها الحياة المعاصرة بسبب الثورات العلمية المتلاحقة

في جوانبها التقنية والصناعية والمعلوماتية، مما استوجب على العلماء الاجتهاد لإيجاد حلول، وإصدار فتاوى للمشاكل والوقائع المستجدة.
ولم يجدوا منهجا مناسبا لتطويع هذه المستجدات للنصوص الشرعية أجدى من تحكيم مقاصدها، هذا المنهج الذي يضمن لثوابت الشرع أصالتها ومرجعيتها، ولمتغيراته حيويتها ومرونتها مما يحقق للشريعة صلاحيتها لكل زمان ومكان.

التعريف بموضوع البحث

يرجع الفضل في إحياء الفكر المقاصدي في العصر الحديث إلى مدرسة المنار التي لفت أصحابها الانتباه إلى ما تضمنه كتاب الموافقات للشاطبي من آراء سديدة، ونظريات مبتكرة غير مسبوقة، خصوصا من حيث التوسع والإعمال، وأيضا لما ساهمت به في تعميق هذا الفكر وإعماله في مجالات مختلفة، وقدمت مقاربات لكثير من مشاكل الأمة، وهي مقاربات تتصف بالشمولية والنظرة الكلية، وتتمثل خصائص الشريعة ذاتها.
ويأتي هذا البحث المتواضع ليسلط الضوء على هذه المحطة في الفكر الإسلامي الحديث، ويبرز عطاء هذه المدرسة من خلال عمل كبير يستحق أن يوصف بـ"المنار" وهو تفسير المنار، محاولا قدر الاستطاعة والإمكان، لم شمل خيوط هذا الفكر، ورصد أبعاده وجوانبه المختلفة، سواء من حيث الشكل أو المضمون، ومن حيث التنظير أو التفعيل، منطلقا من التفسير وعائدا إليه، ومستأنسا بإنتاجات المدرسة الأخرى بقدر ما يوضح فكرة أو يتممها، أو يزيل تعارضا أو التباسا.

أسباب اختياره

مما شجعني على اختيار هذا الموضوع، أهمية الفكر المقاصدي في إبراز محاسن الشريعة، وفي معالجة قضايا الأمة، ولم شملها، وحسم قضايا الاختلاف، أو على الأقل التقليل من حدته بين فرقها ومذاهبها؛ لأنه الفكر الذي تواطأت أغلب الرؤى على قبوله، والتسليم بنتائجه...
هذا عن اختيار الفكر المقاصدي، أما عن اختيار مدرسة المنار، دون غيرها من المدارس الفكرية أو المذاهب الفقهية، أو حتى أعلام بذواتهم، من هذا المذهب أو ذاك، فلإغفال دورها ومساهمتها في الفكر المقاصدي، من قبل من أرّخوا لهذا الفكر، ورصدوا تطوره عبر العصور، فقد لاحظت في كل الدراسات التي وقفت عليها إهمالا كليا لما ساهم به علماء المدرسة في الكشف عن مقاصد الشريعة الإسلامية وإبراز محاسنها.
وأيضا لما للمدرسة من زخم فكري ووضوح منهجي، وعمق في الرؤية، وتنوع في الإنتاج، واهتمام بالوسائل والمقاصد والأسباب والمسببات، والسنن والعبر...
إنها الرؤية المقاصدية التي تحكم وسائل عمل المدرسة، وتوجهها وإستراتيجيتها وأهدافها، رؤية لم تحظ بعد، فيما أعلم، بدراسة خاصة تبلور هذه الفكرة، وتستقري معالم النظرية المقاصدية للمدرسة.
ولما كان الاستقراء لفكر المدرسة لا ينهض به بحث واحد، لغزارة إنتاجها وتنوعه، كان علي اختيار مؤلف يعكس طبيعته ومنهجه، ويجلي معالم نظرية المقاصد، فكان الوافي بالغرض "تفسير المنار":
فهو المعبر عن فكر أقطاب المدرسة البارزين وهم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا.
ونظرا لاتصال تاريخ تأليفه بوفاة صاحبه، فقد عكس فكر المدرسة عموما، وفكر السيد رشيد رضا خصوصا، سواء تعلق الأمر بفتاويه أو كل ما ينشره بمجلة المنار وفي كتبه الأخرى، في مجالات مختلفة.

خطة إنجازه

لقد تناولت هذا الموضوع في بابين قدمت لهما بمقدمة عرفت فيها بالموضوع وأبرزت أهميته،

يرجع الفضل في إحياء الفكر المقاصدي في العصر الحديث إلى مدرسة المنار التي لفت أصحابها الانتباه إلى كتاب الموافقات للشاطبي

وأسباب اختياره وخطة إنجازه، ثم مدخل خصصته للفرش النظري الذي يحيل عليه عنوان البحث، وهكذا عرفت بالفكر المقاصدي إفرادا وتركيبا، لغة واصطلاحا، وقارنته بمصطلحات مستعملة في معناه، أو قريبة منه، كعلم المقاصد، والاجتهاد المقاصدي، كما بينت أهميته، من خلال فوائده وثماره، وتعرضت لأبرز مراحله التاريخية، كما أثرت وجهات النظر حول هوية المقاصد، هل هي علم مستقل له موضوعه ومنهجه ومؤلفاته ورجاله، أم هو مجرد مبحث من بين مباحث علم أصول الفقه، ولكل رأي أنصار ومنافحون، وله معارضون ومناوئون.

وختمت هذا المدخل بأقسام المقاصد مبرزا الاعتبارات المختلفة التي روعيت في التقسيم، على أن أمثل لها في المنار في صلب البحث، وأوردت في هذا المدخل الاعتراضات على بعض هذه التقسيمات، والبدائل المقترحة من قبل بعض الباحثين المعاصرين، مما جلى لنا بوضوح حيوية البحث في المقاصد وخصوبة مادتها، وجاذبيتها للباحثين والدارسين.

الفكر المقاصدي هو الفكر الذي تواطأت أغلب الرؤى على قبوله، والتسليم بنتائجه

أما الباب الأول فقد عنونته: "**الفكر المقاصدي في تفسير المنار**" وتناولته في ثلاثة فصول، الأول تمهيدي، تفاديت به الخلط بين مباحثه وما أوردته في المدخل، وإلا فموضعه هناك. وقد خصصته لمدرسة المنار، معرفا بها، وبظروف نشأتها، وبأقطابها الثلاثة، جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، ومبرزا قيمة إنتاجها الفكري، والإضافة النوعية التي أضافتها للفكر الإسلامي الحديث، من خلال تقديم لأبرز مؤلفاتها. وفي هذه التراجم استعرضت أنشطة الأئمة الثلاثة، سواء الدعوية منها أو التربوية أو السياسية، وفي مجالات مختلفة، مع توسع نسبي في أنشطة رشيد رضا، لحاجة البحث إلى إبراز مدى إعمال وتفعيل المقاصد التي احتفى بها المنار، خصوصا والمدرسة عموما.

وتناولت الفصل الثاني "**تفسير المنار**" في سبعة مباحث: عرفت من خلالها بهذا التفسير، وأبرزت أهميته ومكانته بين كتب التفسير، وقمت بجرد لمعظم اهتمامات صاحبه والقضايا التي شغلت فكره، والأهداف التي سعى إلى تحقيقها من خلال مادته العلمية، وهي أولا، بيان خصائص الإسلام، كالتوازن والاعتدال والوسطية والكمال والمرونة والعالمية والشمولية، ثم وضع المسلمين أمام كتاب ربهم من خلال إحياء العمل به، وإعادة فهمه واستجلاء بصائره ومقاصده، وبيان مهامه ووظائفه في حياة الإنسان، والربط بين نصوصه وواقع الناس، وإزالة ما يبدو بين بعضها من تعارض. ومن بين هذه الاهتمامات توعية الأمة بحقوقها وواجباتها، وتحرير فكرها من أسر التقليد لفهم الدين عن طريق السلف الصالح، وإرشادها إلى كل ما يعيد لها مجدها ويرص صفوفها ويقوي وحدتها، ومن الاهتمامات التي رأى أنها تحقق هذا الهدف التجديد، وذلك بتبسيط مفاهيم الدين، والرجوع به إلى سهولته وهدايته، كما كان في الصدر الأول، ووضع كتب يراعى فيها اليسر ورفع الحرج ودرء المفاسد وجلب المصالح والعرف وغيرها من القواعد، لتعود للفقه الإسلامي مكانته في قلوب المسلمين. ولتحقيق هذا الهدف، لابد كما جاء في المطالب الموالية، من ربط الأمة بتاريخها وإعادة قراءة تراثها، وإصلاح لغتها، بالإضافة إلى مقاومة كل تحديات العصر التي يمثلها الاستبداد في الداخل، والاستعمار وقواه في الداخل والخارج معا، وقد تناولت كل قضية من هذه القضايا في مطالب مستقلة موضحا ما بينها من علاقة من جهة، وعلاقتها بالفكر المقاصدي من جهة أخرى.

وفي المبحث الثالث، بينت **أثر المنار في إحياء الفكر المقاصدي، ومساهمته في تنميته**، وذلك في مطلبين مستقلين: الأول: الإحياء، والثاني: المساهمة في التنمية. وسواء تعلق الأمر بالمصطلح أو المنهج، أو إحياء وبعث هذا الفكر من خلال كتب معينة ودراستها وتدريسها، خصوصا

كتب الشاطبي، وتبين لي فعلا فضل المنار على الدراسات الإسلامية خلال القرن العشرين.

وبما أن معالم فكر أي شخص أو مدرسة أو اتجاه، لا يظهر إلا بإبراز معالم منهجه، فقد أفردت **منهج المنار** بمبحث مستقل هو الرابع في هذا الفصل، وفصلته في ثلاثة عشر معلما، استنتجت من خلالها أنها فعلا معالم لفكر مقاصدي واضح ومتكامل ومتوازن، لا يطغى فيه العقل على النقل، ولا ينفك فيه العملي عن النظري، وهذه المعالم هي باختصار:

- الاستحضار الدائم للمقاصد القرآنية - الترجيح بالمصلحة والمقصد - التركيز على التدبر والتأمل - تحري الحق والصواب واليقين - النفور من الإسرائيليات ورفض الأحاديث الضعيفة - التفويض في الأمور الغيبية - ذكر الأحكام الفقهية والاستشهاد لها والاستدلال عليها، هذا الاستدلال يقوم على القواعد الأصولية، وأقوال اللغويين والنحاة والبلاغيين والأدباء والشعراء - فهم النصوص في جملتها وكليتها - تطبيق وتنزيل الآيات على واقع المسلمين للاعتبار - التمييز بين ما يقصد به التشريع وما يقصد به مجرد الإرشاد - التزام منهج اليسر ورفع الحرج في الاختيارات - الاقتباس القرآني - التلخيص.

وختمت هذا المبحث بانتقادات السيد رضا لبعض كتب التفسير بناء على معالم هذا المنهج الذي ارتضاه بديلا.

وفي المبحث الخامس الذي خصصته **لمصادر المنار الفكرية** ميزت بين مراجعه في التفسير والاجتهاد الفقهي، وفي فلسفة الأخلاق، وفي المقاصد وحكمة التشريع، وفي اللغة وعلومها. ففي التفسير والفقه كان للسلف الصالح حضور متميز في المنار بدءا بالصحابة والتابعين وكبار المفسرين، خصوصا الطبري وابن كثير، وأعلام الفقه الكبار، مما يؤكد فعلا توجهه الأثري ومبالغة من يصفه بالعقلي. وفي مقدمة هذه المرجعيات نجد ابن حزم وابن تيمية وابن القيم وابن حجر والعز بن عبد السلام والشاطبي، وهذا طبعا حسب مجالات البحث وطبيعة الدراسة مما يجعل التفاوت في درجة التأثر واردا ومقبولا.

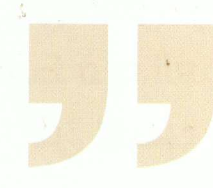
ففي فلسفة الأخلاق وحكم التشريع مثلا نجد للغزالي حضورا متميزا، حيث كان للسيد رضا اهتمام خاص بإحياء علوم الدين منذ صغره، وإلى جانبه أبرز علماء المقاصد كالعز وابن تيمية وابن القيم والشاطبي، وربما النقول عن هذين الأخيرين وتردد اسميهما في المنار يبرزان العناية الخاصة التي يوليه السيد للفكر المقاصدي للرجلين، بينما في اللغة وعلومها فأبرز جهابذة النحو والبلاغة، وفحول الشعر والأدب، ساهموا في صقل ملكات السيد وأستاذه فيها، وفي المنار نقول كثيرة عنهم في تحقيق الألفاظ وتوجيه المعاني.

وإنصافا للحقيقة وتحقيقا للتوازن، خصصت المبحث السادس للمآخذ على المنار، سواء في الشذوذ في بعض الاجتهادات، أو الغلو في إعمال العقل ومجانبة الصواب في بعض التأويلات، لدرجة إنكار أحاديث صحيحة ثابتة كما في المهدي ونزول عيسى -عليه السلام- مثلا.

أما المبحث الأخير في هذا الفصل فقد أفردته لـ: **تأثير تفسير المنار، خاصة، ولمدرسة المنار، عامة، في كثير من المدارس والأعلام.** وهكذا أوردت نماذج لعلماء كبار، ومدارس وحركات ذاع صيتها في العالم الإسلامي، للمنار بصماته الواضحة في صياغة فكرها وبلورة منهجها، وإن كان تركيزي بصورة أكبر على التفسير والفكر المقاصدي.

أما الفصل الثالث، وهو "**الاتجاه المقاصدي في تفسير المنار**" فقد عالجته في عدة مباحث هي: - الأسس النظرية للمقاصد في تفسير المنار - تعليل الأحكام وتقصيدها - الاعتداد بالمصادر التبعية - قواعد مرجعية لها ارتباط بالمقاصد - المصطلحات المقاصدية في المنار - طرق الكشف عن مقاصد الشرع في المنار - قواعد الفكر

معالم فكر أي شخص أو مدرسة أو اتجاه، لا يظهر إلا بإبراز معالم منهجه



المقاصدي في المنار.

فمن الأسس النظرية التي يحتكم إليها صاحب المنار، ويناقش على ضوئها قضايا ومسائل متعددة، ونفهم من خلالها توجهه المقاصدي:

أولا: إعمال العقل في فهم النصوص، إذ لا يمكن الحديث عن المقاصد إلا عبر عمليات عقلية سواء في الملاحظة والتتبع والاستقراء والاستنتاج، أو في التدبر والتأمل والتفكر والاعتبار، وهي عمليات يستلزمها تحديد المقاصد والتمييز بين أنواعها، وتعيين وسائلها.

ثانيا: النظر في الكليات، وهو ضروري في البحث المقاصدي، وعن طريقه نميز بين المقاصد الجزئية والخاصة والعامة، حسب حجم الجزئيات التي يستوعبها الحكم الكلي، وحسب الأبواب والمجالات.

ثالثا: عدل الله العام في شرائعه وسننه الكونية، فكل حكم شرعي في الكتاب والسنة، أو فعل إلهي في الكون والوجود، إنما يفهم في سياق عدل الله العام، ولطفه بخلقه، ورعايته لمصالحهم الدنيوية والأخروية، وعليه فكل اجتهاد أو سلوك بشري لا يحقق هذا العدل، أو لا يراعي تلك المصالح، فهو عدول عن مقاصد الشرع وتنكب عن صراط الله المستقيم. وهو ما يبرزه الأصل الرابع والخامس.

رابعا وخامسا: مراعاة المصلحة، وطلب المنافع ودفع المضار، وقد أفردت كلا منهما بالذكر لتمييز العلماء بين المصلحة والمنفعة، وكل منهما من صميم المقاصد.

سادسا: فهم أسرار شريعة الله: وأغلب مقاصد الشرع، إنما هي أسرار توخى الشارع تحقيقها من وراء تكاليفه، واحتفاء المنار بهذه الأسرار وتتبعها واستنباطها لا يخرج عن سياق الكشف عن مقاصد الشرع.

سابعا: اكتفاء القرآن بأوجه العظة والاعتبار: وهو ما يلفت المنار نظر القارئ والمستمع والدارس إليه في القصص القرآني وأمثاله وحكمه، وهو من مقاصد السور القرآنية التي لا ينبغي أن تغيب عن الأذهان.

ثامنا: ربط الأسباب بالمسببات: وهو ما يلحظه المتصفح لأجزاء المنار، والعناية بالأسباب والعلل وقرنها بمسبباتها ومعلولاتها من صميم الدرس المقاصدي، كما بينته في مبحث التعليل.

تاسعا: توجيه خطاب التكليف إلى القصود أمرا ونهيا: ومن شأن العناية بالتمييز بين أفعال المكلفين وقصودهم، كما فعل المنار، أن يحفظ للتكاليف الشرعية قيمتها وحرمتها في النفوس، وعلى ضوء هذا التمييز، ميز علماء المقاصد بين مقاصد الشرع ومقاصد المكلف، واشترطوا في مقاصد المكلف الموافقة للشرع وامتثاله.

وتناولت مبحث تعليل الأحكام وتقصيدها في خمسة مطالب هي:

أهمية التعليل وعلاقته بمسألة التحسين والتقبيح، وموقف المنار من هذه المسألة، خصوصا وأن لها أبعادا توجيهية أصولية وفقهية ومقاصدية في التفكير الإسلامي، ثم تعرضت للتعليل في المنار، وعلاقته بفلسفة اللغة.

وبما أن الاجتهاد المقاصدي ينطلق من النصوص، فإنه لا يستغني عن سبل الاجتهاد الأخرى، خصوصا الأدلة العقلية، وكلما تنوعت مصادر الاجتهاد عند العالم، كان أكثر إلماما بالشريعة، ولهذا خصصت المبحث الرابع للمصادر العقلية التبعية، بينت فيه مدى اعتماد المنار لكل من المصلحة المرسلة والعرف والاستصحاب، وهي المصادر التي تغذي الفكر المقاصدي بوجه من الوجوه.

وقد أتبعتها بثلاث قواعد كبرى لها ارتباط بالمقاصد، بل هي من مباحثه التي لا غنى للباحث في المقاصد عنها، وهي تغير الفتاوي، أو الأحكام، بتغير الزمان والمكان، وتبدل الظروف والأحوال، وقاعدة سد الذرائع، والنظر إلى المآلات واعتبارها في الفتاوي والأحكام، وذلك في مبحث مستقل هو الخامس في الترتيب.

وبما أن المصطلح هو مفتاح العلم، والمؤشر على

يشتمل تفسير المنار على معالم فكر مقاصدي واضح ومتكامل ومتوازن، لا يطغى فيه العقل على النقل، ولا ينفك فيه العملي عن النظري

طبيعة الحقل المعرفي المدروس فقد قمت في المبحث السادس بجرد لأبرز المصطلحات المقاصدية المستعملة في المنار، ووجدت لها حضورا مكثفا، كما ونوعا، وبصيغ واشتقاقات مختلفة، وهكذا نجد القصد وما اشتق منه، والعلة والحكمة والسبب والغاية والنية والغرض والمعنى والسنة والمراد والفائدة والنكتة... ولا تخلو صفحة من الصفحات منها، وقد مثلت لكل مصطلح بما يكفي من الأمثلة.

ومما يرتبط بالمصطلح المقاصدي أدوات التعليل ومسالكه؛ أي الأساليب والطرق التي يتوسل بها إلى الكشف عن مقاصد الشرع، وسواء المنقول منها والمحكي عن السابقين، أو المستنبط بالاجتهاد، والاهتمام بها من المؤشرات المهمة على الفكر المقاصدي وقد مثلت لما وجدت من هذه الأساليب بأمثلة في مبحث مستقل عنونته: "**طرق الكشف عن مقاصد الشرع في المنار**".

وفي المبحث الأخير من هذا الفصل تناولت أبرز القواعد المقاصدية في المنار، واستدعى مني المقام أولا أن أعرف بالقاعدة المقصدية في المطلب الأول، ومميزاتها عن القاعدة الفقهية والأصولية في المطلب الثاني. وبعد ذلك قمت بجرد لأبرز هذه القواعد في المنار في المطلب الثالث، ممثلا بما يكفي من الأمثلة، وقد اكتفيت بالقواعد الشرعية الكبرى ذات المدلول المقصدي وذات الصياغة المحكمة، ولم ألتفت إلى الكلام الطويل المسهب، وإن كان يحمل معنى مقصديا كما نجد عند بعض الباحثين، فلا يضر كون القاعدة فقهية، أو شرعية كبرى، في اعتبارها مقصدية أيضا، ما دامت مفصحة عن مقصد من مقاصد الشارع، وذات قوة في الاستدلال عليه.

ومن القواعد التي حظيت بأمثلة:

- الأمور بمقاصدها - الحرج مرفوع - الضرورات تبيح المحظورات - الضرورة تقدر بقدرها - ارتكاب أخف الضررين - درء المفسد مقدم على جلب المصالح - الميسور لا يسقط بالمعسور - ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وبهذا المبحث ختمت الباب الأول لأتفرغ **لأقسام المقاصد ومجالاتها في المنار** في الباب الثاني.

هذا الباب عنونته: "**أنواع المقاصد ومجالاتها من خلال المنار**".

وقسمته إلى فصلين: الأول: **أنواع المقاصد والسنن في المنار**. والثاني: **مجالات المقاصد في المنار**. وتناولت الفصل الأول في ثلاثة مباحث هي أقسام المقاصد بحسب الاعتبارات المتعارف عليها عند علماء المقاصد، وذكرت منها ما سمحت به الأمثلة من غير تكلف، والأقسام التي أوردتها هي:

الأول: باعتبار مصدرها ومنشئها: أي مقاصد الشارع ومقاصد المكلف.

الثاني: باعتبار تعلقها بعموم التشريع وخصوصه: أي المقاصد العامة والخاصة والجزئية.

الثالث: باعتبار مدى الحاجة إليها، وهي إما ضرورية أو حاجية أو تحسينية.

الرابع: باعتبار وقتها وزمن حصولها، وهي إما دنيوية أو أخروية.

الخامس: باعتبار أصليتها وتبعيتها، إذ منها المقصود أصالة والمقصود تبعا، ويلحق به ما روعي فيه حظ المكلف، وما لم يراع فيه، وما هو مقصد وما هو وسيلة. وأوردت لكل قسم من هذه الأقسام ما وجدته من أمثلة مناسبة، ونظرة المؤلف إليها وطريقة توظيفه لها.

أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد خصصته لتقسيم آخر درج عليه صاحب المنار وعنونته: "**مقاصد الوحي**"؛ لأنها إما مقاصد القرآن أو مقاصد البعثة، وهما المصطلحان المتكرران بكثرة، وضمن هذين المقصدين تنتظم جميع مقاصد الشرع بأي اعتبار كان.

فمقاصد القرآن أفردتها بالذكر؛ لأن المؤلف - رحمه الله- خصص لها فصلا مهما من الجزء الحادي عشر من تفسيره، واعتبر أعظم مزايا

> إشادة الباحث بتفسير المنار لم تمنعه من كشف شذوذ بعض اجتهاداته، وغلوه في إعمال العقل ومجانبة الصواب في بعض التأويلات

هداية القرآن المقصودة بالقصد الأول هو التعبد به. وتناولت هذه المقاصد بنفس الترتيب الذي تناوله بها المؤلف، وكان عملي فيها مجرد تقديم وتلخيص مع قليل من التعليق، وهي من حيث الإجمال محصورة في عشرة مقاصد.

أما النوع الثاني وهو مقاصد البعثة، فقد ميزت فيه بين بعثة الرسل عموما، احتراما للسياق الذي ترد فيه، وبين مقاصد بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم- وإن كان يشترك مع غيره من الرسل في كثير منها، احتراما مرة أخرى لسياق الآيات التي تخاطبه وتخصه بالذكر.

وقد تنوعت مقاصد بعثة الأنبياء التي وقف عندها المؤلف بالشرح والبيان، أو بالاستنتاج والاستنباط ثبتت بشبه استقراء لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، معززة بأمثلة وشواهد، وبوقائع من سير الأنبياء والرسل -عليهم السلام-.

أما المبحث الأخير فقد ارتأيت فيه أن أبحث السنن الإلهية والكونية، لاحتفاء صاحب المنار بها، ويستدل بها إثبات مقاصد الله في خلقه وشرعه، مميزا بين أوامره الشرعية التي ربطها بمقاصدها، وأوامره التكوينية التي قرنها بهذه السنن، وهكذا تكون هذه السنن نوعا من المقاصد، لذا ألحقتها بأقسام المقاصد في هذا الفصل.

وأبرز السنن التي تحدث عنها:

- سنة الابتلاء - سنة التمحيص - سنة الاختلاف - سنة التداول - سنة التمكين - سنة التغيير - سنة التدافع - سنة الأجل المسمى.

وقد بحثت كل سنة على حدة في مطلب خاص، مبرزا العلاقة بينها من جهة، وبين ما شرعه الله من أحكام من جهة أخرى، ومثلت بأمثلة ضافية من المنار، استحق بها فعلا أن يعد التفسير السنني بامتياز.وعلى ضوء هذه السنن تتضح للمؤمن فلسفة الخلق والتكوين من جهة، وفلسفة التشريع والتكليف من جهة أخرى.

أما الفصل الأخير من هذا الباب، فقد خصصته **لمجالات المقاصد في المنار**، حيث ثبت لي بالفحص والتتبع أن ما من مجال من مجالات حياة الإنسان، إلا وحظي بالعناية في هذا التفسير، وإبراز مقاصد الشرع فيه، وسواء في علاقة الإنسان بنفسه، أو بربه، أو بأسرته، أو بمجتمعه، أو بأمته، وقد أتاحت لي المادة المتوفرة، أن أخص كل مجال منها بمبحث خاص، وهكذا تتبعت مقاصد الشرع في المجالات الآتية:

المجال الاعتقادي - المجال التعبدي - المجال الخلقي والتربوي - المجال الاجتماعي - المجال الاقتصادي - المجال السياسي- المجال الحضاري، واضطرني زخم المادة وتنوع المجالات إلى أن أطوي صفحة البحث مكتفيا بأمثلة معدودة لمجالات مختلفة كمبحث أخير.

وقد ختم البحث بخلاصة لأبرز نتائجه وبيان آفاقه. ومن هذه النتائج:

- تأكيد الطابع المقاصدي لتفسير المنار، خصوصا، ومدرسة المنار عموما؛
- نجاح المنار في بيان مدى العناية في الشريعة الإسلامية بمصالح العباد؛
- العناية بمقاصد الشريعة في التفسير تقربه إلى التفسير الموضوعي؛
- العناية بتفعيل المقاصد من خلال مختلف أنشطة الإمام الدعوية والخطابية والإعلامية والسياسية؛
- نجاعة المنهج المقاصدي في التقريب بين العلماء والمذاهب؛
- أهمية المزاوجة بين قراءتي الوحي والكون في المنهج المقاصدي للجمع بين مقاصد الخلق ومقاصد التشريع؛
- أهمية دعوة المنار إلى العناية بالعلوم والفنون المفيدة للأمة...

هذا فضلا عن إحياء الفكر المقاصدي والمساهمة في تنميته لتفعيل الدين كله في حياة المسلم. وتعدية مجالات إعماله إلى جميع مجالات الإنسان، عقيدة وتعبدا وفكرا وسلوكا حتى تتوافق مقاصد الله في خلقه مع مقاصده في تكليفه لعباده.

لا يمكن الحديث عن المقاصد إلا عبر عمليات عقلية سواء في الملاحظة والتتبع والاستقراء والاستنتاج، أو في التدبر والتأمل والتفكر والاعتبار